أجرى المقابلة: علي حيدر

مقابلة مع مؤلف كتاب «بطاقة ملكية: تاريخ من النهب والصون والاستيلاء في المكتبة الوطنية الإسرائيلية»

الدكتور غيش عميت: الصهيونية ترغب بالحصول على ملكية الماضي اليهودي وعلى الماضي «ما قبل الصهيوني» لفلسطين!

«الوداع يا مكتبتي! يا دار الحكمة يا رواق الفلسفة، يا معهد العلم يا ندوة الأدب. الوداع يا كتبي النفيسة القيمة المختارة...لست أدرى ما حل بك بعد رحيلنا، أحرقت، أنقلت معززة مكرمة إلى مكتبة عامة أو خاصة؟ أصرت إلى دكاكين البقالين يلف بأوراقك البصل؟ يعز على أن أحرم منك وقد كنت غذائي الروحي وكنت ولا أزال شرها إلى هذا الغذاء، لقد كنت ألازمك في ليلي ونهاري، ولم يزرني أحد في الليل أو النهار إلا وجدني منكبا على كتبي» (يوميات خليل السكاكيني)

مدخل

صدرت مؤخرا الترجمة العربية لكتاب الدكتور غيش عميت المهم «بطاقة ملكية: تاريخ من النهب والصون والاستيلاء في المكتبة الوطنية الإسرائيلية» الصادر باللغة العبرية عن دار النشر هكيبوتس همئوحاد ومنشورات معهد فان لير في القدس ضمن سلسلة كتب «سياقات تأمل ونقد» التي يحررها البروفسور المعروف يهودا شنهاف. وقد أحسن مركز «مدار» صنعا حين أسرع في عملية ترجمة الكتاب للغة العربية (ترجمة علاء حليحل) وأصدرها بالتزامن مع إصدار الكتاب باللغة العبرية لتمكين القارئ العربي بشكل عام والقارئ الفلسطيني بشكل خاص من الاطلاع على هذا الكتاب الذي يعتبر باعتقادي حدثا أدبيا وفكريا بامتياز، كما أنه «فعل سياسي» بالمعنى الذي منحته المفكرة حنة ارندت لهذا المفهوم.

يشكل الكتاب حرثا في أرض بور فيما يخص تجميع ونهب الكتب الفلسطينية، وفاتحة لبدايات جديدة في مجال بحثه، ومقترح نظريات وتفسيرات نقدية مؤسسة.

أنهى غيش عميت تعليمه للقب الثالث في قسم الأدب العبري

في جامعة بن- غوريون في النقب، ومن ثم كان زميلا في معهد الدراسات المتقدمة في برلين وبعدها زميلا لمدة عامين في مدرسة القيادة التربوية ماندیل في القدس. لقد عمل غيش وكتب في مجال التربية والتعليم وهو ليس فقط باحث وإنما ناشط وفعال ومناصر للحق الفلسطيني ومنحاز إلى جانب المهمشين والمستضعفين ونقدي تجاه السلطة والنخب.

أن كتاب غيش عميت يكشف ويسرد مسيرة ثلاثة أحداث وقضايا كبيرة وقعت وجرت داخل جدران المكتبة الوطنية الإسرائيلية: مشروع جلب الكنوز الثقافية والذي من خلاله تم إحضار مئات آلاف الكتب التي كانت قد أخذت من اليهود- ضحايا النازية الذين عاشوا في أوروبا من قبل النازيين ووضعها في المكتبة الوطنية. والحدث الثاني هو عملية جمع ونهب حوالي ثلاثين ألف كتاب تعود ملكيتها لفلسطينيين مقدسين بعد حرب ١٩٤٨ والنكبة ونقلها وتخزينها في المكتبة الوطنية. واما الحدث الثالث فهو جمع كتب ومخطوطات ليهود يمنيين هاجروا من اليمن إلى فلسطين في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات واستيلاء المكتبة الوطنية على هذه الكتب والمخطوطات.

يقول غيش عميت: «إن هذا العمل الذي قامت به المكتبة الوطنية والقيمون عليها، يشير إلى الفصل بين بني البشر وثقافاتهم. كما أنه يشير إلى مطلب الحركة الصهيونية بالحصول على الملكية على الماضي اليهودي من جانب وعلى الماضي الما- قبل صهيوني للبلاد من جانب آخر». ويضيف عميت أن هذا العمل «يكشف العلاقة بين الثقافة القومية الصهيونية من جهة والاستعمار والاستشراق الأوروبيين من جهة أخرى ومن خلال ذلك تتم عمليات المحو والنسيان التي فرضتها الصهيونية على المنتسبين والمؤيدين لها أو على من يخضعون لحكمها».

يكشف الكتاب أيضا بحسب عميت «عن العلاقة الوثيقة بين الأدب والعنف الاجتماعي- السياسي، ويرسم ملامح جديدة للمكتبة الوطنية في القدس». ويؤكد عميت أن «المكتبة الوطنية ليست حيزا ساذجا، منغلقا بين الهياكل الباردة للروح. وليست موقعا لتاريخ مختوم ومسدود، ولكن وفوق ذلك كله، حاضر مستمر يتحرك في تعقيدات ماضيه، حيز من الغبن والظلم، وفي الوقت نفسه مكان يدعونا ويتيح لنا الفرص لإجراء التصحيحات، الاعتراف وطلب الصفح والمغفرة».

كتاب غيش عميت يحتوي على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. كما أنه يشمل قائمة بالهوامش وقائمة لثبت المراجع.

الدكتور غيش عميت

في الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان «المكتبة اليهودية الأكبر في العالم» يتناول موضوع كتب ضحايا المحرقة وإعادة توزيعها بعد الحرب العالمية الثانية. أما في الفصل الثاني فيتناول موضوع جمع المكتبات الفلسطينية من غربي القدس بعد النكبة وتسلسل ذلك في المكتبة الوطنية، وفي الفصل الأخير الذي جاء تحت عنوان: «يجب إنقاذ هذا الموروث من النسيان» يتعاطى مع دور الجامعة العبرية اتجاه ممتلكات يهود اليمن الثقافية.

أثار كتاب عميت وما زال يثير ضجة إعلامية كبيرة وردود فعل متفاوتة ومتباينة في الأوساط الأكاديمية نتيجة للمسه الموضوعات «المقدسة» وذات الحساسية بشكل [١] نقدي ومباشر ودون موارية،

وخصوصا فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي– الفلسطيني والرواية الصهيونية وجذورها وخططها وأفعالها وإسقاطات ذلك على الحياة الثقافية أو استغلال المتلكات الثقافية لتجذير الرواية الصهيونية والوجود اليهودي في إسرائيل والعالم ومسائل القومية والاستعمار والعلاقات بين الشرق والغرب وبين سكان البلاد الأصليين والمستوطنين. كما أنه أجريت العديد من الأيام الدراسية والندوات٢ وكتبت ونشرت مراجعات للكتاب.

لا ننوي من خلال هذه المقالة استعراض ونقد الكتاب بشكل منهجي (آملين ان يفعل ذلك غيرنا) وإنما آثرنا الالتقاء بغيش عميت وطرح بعض الأسئلة عليه تتعلق بشخصيته ومجالات اهتمامه ورؤيته السياسية والمجالات التي يكتب عنها وموضوعات الكتاب. كما ألحقنا المقابلة بإشارة واستعراض موجز لكتاب ذي صلة بالأرشيف يبحث موضوع صور الفلسطينيين في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية أصدرته الباحثة رونا سيلع.

المقابلة

(*) سؤال: ما هي الأمور التي جذبتك ودفعتك للبحث والكتابة في الموضوعات التي يتناولها الكتاب والذي هو بمثابة خلاصة عمل عميق لنيل شهادة الدكتوراه؟

في البداية لم أكن أعرف عما سأكتب، ولكن هناك شيئين عرفتهما جيدا قبل إقدامي على البحث والكتابة:

أولا: أردت أن أجري بحثا ذا صلة مع الحاضر، لأنني أؤمن وأعتقد بأن للباحث والمثقف الحقيقي التزاما ليس فقط اتجاه الماضي «وانتهى الأمر» وإنما تجاه شيء حي وفعال يتطرق للصراع الإسرائيلي –الفلسطيني.

ثانيا: أردت ان يكون عملي وبحثي ذا صلة مع الأرشيف (دار المحفوظات). فقد كان بحثي للقب الثاني حول الأرشيف. الأرشيف بحسب رأيي مكان تُحفظ داخله بقايا من أحداث حصلت في الماضي ولكن لها أهمية وتأثيرا على ما يحدث في الحاضر وعلى ما يمكن ان يحصل في المستقبل. عرفت أن بحثي سوف تكون له علاقة بالأرشيف، ولكن لم أكن أعرف أي شكل أو طابع سوف يأخذ. ولذلك أمضيت وقتا طويلا في السنة الأولى من دراستي للدكتوراه في الارشيفات المختلفة في البلاد: أرشيف الدولة، المكتبة الوطنية الإسرائيلية، أرشيف تاريخ الشعب اليهودي، الأرشيف الصهيوني.

(*) وماذا اكتشفت إبان تجوالك وتمحيصك وتنقيبك في دور الأرشيف؟

لقد اكتشفت في المكتبة الوطنية مستندات تتعلق بعملية تجميع الكتب الفلسطينية في حرب ١٩٤٨، وكل ما مرّ الوقت وبشكل تدريجي وجدت مستندات أكثر وقد وجدت أيضا بأن هنالك علاقة بين ما حدث لكتب الفلسطينيين في ال ٤٨، ولكتب المهاجرين اليمنيين إلى إسرائيل وكتب ضحايا الكارثة.

المرحلة الأولى– مرحلة التجميع والنهب والسلب لكتب الفلسطينيين والاستيلاء على كتب اليمنيين والصراع على التوزيع من جديد لأملاك ضحايا الكارثة (لقد كان مهما للنازيين بحث المشكلة اليهودية دون وجود اليهود. فقد أقام النازيون المكتبات ومراكز الأبحاث) ولذلك طالبت المكتبة الوطنية الإسرائيلية بكتب اليهود. في حينها المكتبة الوطنية طالبت بالكتب لأن إسرائيل والحركة الصهيونية ادّعيا بأنهم هما أصحاب الملكية على الماضي اليهودي، بما معناه، أن هناك تماثلا ما بين اليهودية وبين إسرائيل. هناك ادعاء شبيه أيضا وهو وجود تماثل بين اليهودي والصهيوني. وانا شخصيا، أعارض بشدة هذا الادعاء وذلك لأنه توجد هناك أجيال من الحياة اليهودية ولا يوجد للصهيونية حكر على اليهودية. أنا اعتقد أيضا أن حياة ثقافية يهودية وحياة يهودية عامة يجب أن تكون أيضا خارج إسرائيل. وحول هذا الموضوع كان جدال كبير.

(*) وماذا بخصوص الكتب الفلسطينية؟

فيما يخص الموضوع الفلسطيني، في العام ١٩٤٨ في الوقت الذي طرد وهُجر فيه الفلسطينيون من بيوتهم جمعت المكتبة الوطنية الإسرائيلية عشرات آلاف الكتب (حوالي ٣٠ ألف) والتي كانت بملكية فلسطينية. لقد جمعتهم بالأساس من ملكيات خاصة ولكن أيضا من مؤسسات عامة. وأنا أصف في الكتاب هذه القضية، عملية التجميع والتوجهات. أحد الادعاءات المركزية التي أدعيها بأن المكتبة الوطنية منذ العام ١٩٤٨ تدعي بانها أنقذت الكتب (هذا الادعاء من الممكن أن يكون له وجه معين من الصحة نتيجة لكونها كانت فترة حرب) ولكن في الحقيقة كل من يقرأ وينكشف على المستندات بما يشمل تصريحات لمثقفين وباحثين وأساتذة جامعات (في تلك الفترة كانت المكتبة الوطنية جزءا من الجامعة العبرية) والمستندات الرسمية يصل إلى نتيجة مفادها انهم رأوا بأنفسهم ممثلي قوى التقدم والتنوير وان وظيفتهم أخذ الكتب من أيدي هؤلاء الذين لا يعرفون المحافظة عليها أو لم يعرفوا أهميتها وقيمتها ونقلها لمؤسسة غربية صاحبة توجهات استشراقية ومركز– أوروبية.

من الجدير بالذكر أن جزءا من المستندات قد فقدت أو انتقلت من أرشيف إلى آخر وهذه هي المرة الأولى التي يكتب بها عن الموضوع. لقد تحصلت على جزء من المعلومات من خلال مقابلات. بخلاف موضوع الكارثة (الهولوكوست) والتي يوجد لها ملف خاص في الأرشيف والذي يحوي أغلب المعلومات حول كتب الفلسطينيين لم يكن ملف خاص مما زاد من صعوبة البحث وصعوبة الحصول على المعلومات.

(*) كيف يمكن تفسير ذلك أنه من جانب واحد يتم سلب كتب من بيوت أصحابها ومن جانب آخر يتم الادعاء بأن أصحابها لا يعرفون قيمتها أو المحافظة عليها؟ أنا أقصد بطبيعة الحال، التوجه الرسمي والثقافي الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين كشعب بعد ان هجرت وطردت أغلبيته؟

لقد كان لهذه المجموعة توق للكتب وممكن فهم جزء من هذا الميكانيزم (الآلية)، فجزء منهم كانوا في السنوات الأولى في حيرة من أمرهم حول قضية إعادة الكتب. بعد الحرب صنفت الكتب بحسب أسماء أصحابها (الذين سلبت منهم). لقد كانت حيرة وتردد بالنسبة للملكية على الكتب. أرادوا الكتب ولكن كانوا على معرفة أن هذه كتب تتبع للفلسطينيين، حتى أنه في لحظات معينة أبدوا مواقف حول إعادتها، وفي لحظات أخرى أبدوا مواقف مناقضة، هذا إلى جانب مسألة الربح الذي من الممكن أن تحصله المكتبة من إبقاء الكتب بحوزتها.

الشيء المؤكد، حسب رأيي، هو أنه طالما مرّ الوقت (كلما أصبحت إمكانية عودة اللاجئين أصعب) زادت رغبة المكتبة الوطنية في الحصول على ملكية الكتب. وليس من باب الصدفة أنه في أواخر سنوات الخمسينيات وبداية سنوات الستينيات بدأت المكتبة بمحو أسماء أصحاب الملكية الأصليين الفلسطينيين واستبدالها بكلمتي «ملك متروك»(مهجور).

(*) هل تطرق بحثك إلى مضامين الكتب؟

في الحقيقة ان بحثي تعاطى قليلا مع مضامين الكتب.

(*) من أين سلبت أغلبية الكتب/ من البيوت الخاصة، ام من المؤسسات العامة؟ وكيف جمعت المعلومات؟

من الجدير بالذكر أن جزءا من المستندات قدُفقدت أو انتقلت من أرشيف إلى آخر وهذه هي المرة الأولى التي يكتب بها عن الموضوع. لقد تحصلت على جزء من المعلومات من خلال مقابلات. بخلاف موضوع الكارثة (الهولوكوست) والتي يوجد لها ملف خاص في الأرشيف والذي يحوي أغلب المعلومات حول كتب الفلسطينيين لم يكن ملف خاص مما زاد من صعوبة البحث وصعوبة الحصول على المعلومات.

بالنسبة لسؤالك فيما يخص الممتلكات الخاصة والعامة، أغلبية الكتب أتت من بيوت خاصة، وجزء قليل جلب من مؤسسات عامة. أنا أصف في الكتاب كيف أن وزارة التعليم في سنوات الخمسين أقامت مزادا علنيا لبيع الكتب التي جُلبت من المدارس والمؤسسات العامة، في الأساس كتب تعليمية، وبطبيعة الحال بعد أن مرّت من تحت عين الرقابة العسكرية والقوات العسكرية.

(*) من أي مناطق في البلاد تم جلب وتجميع الكتب؟

لقد تركز بحثي في الأساس بمنطقة القدس نتيجة لموقع المكتبة الوطنية في القدس ونتيجة لوجود نخبة فلسطينية مثقفة في هذه المنطقة، ولقد اقتصرت بحثي على القدس ولكني أعرف بالتأكيد أنه في يافا حصلت أمور شبيهة. أنا أصف في الكتاب زيارة لرئيس الحكومة الأول بن غوريون لمنطقة يافا، حيث ركزت هناك الكتب العربية في مخزن، وأن الحاكم العسكري أمر بمنع إخراج أي كتاب خارج يافا وطالب بإيداع جميع الكتب في المخزن المذكور. أشياء شبيهة حدثت في حيفا وفي مدن فلسطينية أخرى.

(*) ما هي الأشياء التي فاجأتك؟ وما هي التبصرات التي توصلت إليها؟

أحد الأشياء التي فاجأتني كثيرا أنه حتى الآن وبعد حوالي سبعة عقود من حرب ١٩٤٨ ، ما زالت المكتبة الوطنية تتعامل مع هذه القضية بمصطلحات الإحسان أو الإنقاذ. هذا مهم جدا لي. لأني أؤمن بأهمية

اللقاء بين النكبة والكارثة هو بطبيعة الحال متوتر ومركب، ويُلزم نقاشا حذرا وحساسا. في هذا السياق أود قول ما يلي: يبدو لي أنه كان المفكر إدوارد سعيد الذي كتب بأن الفلسطينيين هم ضحايا الضحايا. انا أوافق تماما مع هذه المقولة، ولذلك اعتقد انه واجب علينا التفكير، حتى بحساسية كبيرة، عن العلاقة التاريخية بين الكارثة وإقامة دولة إسرائيل وبين المأساة الفلسطينية. الأغلبية الساحقة من الإسرائيليين يعتقدون أن التعبير عن هذه العلاقة ممنوع، أو حتى ان التفكير فيها ممنوع، وهذا ما يفسر ردود الفعل القاسية تجاه الخطوة التي اتخذتها في كتابي.

الاعتراف بالغبن وأنا أؤمن أيضا أنه من أجل أن يكون هنالك أمل، يتوجب الاعتراف بالغبن الذي حدث والاعتذار للفلسطينيين.

(*) وما هو المعنى الفعلي للاعتراف والاعتذار؟

المعنى الفعلي هو أولا الاعتراف الحقيقي بالغبن، وهو ما لم تفعله المكتبة الوطنية بعد، وكما يبدو لا توجد لديها القابلية لذلك. وعلى الصعيد العملي، يجب التفكير فيما ينبغي عمله بهذه الكتب، هل الشيء الصحيح نقلها لمكتبة جامعية فلسطينية إلى حين إقامة مكتبة وطنية فلسطينية، أو البحث عن جزء من أصحاب الكتب وورثتهم وإعادة الكتب لهم؟ أو أنه حتى يحدث ذلك يجب إجراء مسح الكتروني لجميع الكتب، وهذا شيء بسيط نسبيا، وممكن لكي تصبح الكتب في متناول الجميع. لأنه يوجد كثيرون من الفلسطينيين الذين لا يستطيعون الوصول للمكتبة. المكتبة ليست مفتوحة للجميع. الذي يجب أن يقرر مصير الكتب الفلسطينية هم الفلسطينيون أنفسهم، وكل مكان يكون مقبولا عليهم هو أفضل من الوضع القائم.

(*) كيف استُقبل وتم تلقي كتابك بعد نشره؟ وكيف تشعر تجاه النقد الذي وُجه اليك؟

حيز القبول الإسرائيلي ضيق جدا، وخصوصا في كل ما يتعلق بكتب فكر نقدية. هذا الأمر صحيح بشكل عام، ولكنه آخذ بالتطرف أكثر وأكثر في هذه الأيام، أيام التصعيد القومي الآخذ بالغلو. ومع ذلك، لا يوجد لدي أي شعور بالحقد. أجزاء كبيرة من فصول الكتاب نشرت في دوريات ومجلات، وأثارت اهتماما كبيرا، وتلقيت ردود فعل طيبة ومؤيدة. آمل جدا أن يلقى الكتاب اهتماما لدى القراء العرب. من جانبي، ترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية ذات أهمية كبيرة، وليست أقل من نشره باللغة العبرية، وأنا أسير شكر لمركز مدار– المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية الذي أصدر الكتاب.

(*) لماذا أثار مفهوم وموضوع الغبن الذي ذكرته في كتابك ردود فعل قاسية ومعارضة شديدة من قبل منتقديك؟

يثير موضوع الغبن التذمر والمعارضة نتيجة صعوبة (وهي الشيء المشترك لليمين ولجزء كبير جدا من اليسار الصهيوني) الاعتراف بأن جذور الصراع اليهودي– الفلسطيني موجودة في عام ١٩٤٨ وليس في عام ١٩٦٧، أو بكلمات أخرى، لأن الكتاب يموقع موضوع الغبن ليس في الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في حرب ١٩٦٧، وإنما بنقطة الصفر لإقامة دولة إسرائيل.

(*) جزء من النقد الذي وُجه اليك بعيد إصدار الكتاب يتعلق بالتقارب أو بالربط بين النكبة ونتائجها والكارثة ونتائجها، وعملية نهب الكتب في تلك الحالتين؟ لماذا في رأيك هذا النقد حاضر بشكل كبير وعدواني؟ وكيف يجب التعاطي معه؟

اللقاء بين النكبة والكارثة هو بطبيعة الحال متوتر ومركب، ويُلزم نقاشا حذرا وحساسا. في هذا السياق أود قول ما يلي: يبدو لي أنه كان المفكر إدوارد سعيد الذي كتب بأن الفلسطينيين هم ضحايا الضحايا. انا أوافق تماما مع هذه المقولة، ولذلك اعتقد انه واجب علينا التفكير، حتى بحساسية كبيرة، عن العلاقة التاريخية بين الكارثة وإقامة دولة إسرائيل وبين المأساة الفلسطينية. الأغلبية الساحقة من الإسرائيليين يعتقدون أن التعبير عن هذه العلاقة ممنوع، أو حتى ان التفكير فيها ممنوع، وهذا ما يفسر ردود الفعل القاسية تجاه الخطوة التي اتخذتها في كتابي.

(*) البروفسور زئيف غريس من جامعة بن غوريون الذي تحدث في حفل إطلاق الكتاب، رأيته حضر إلى اللقاء مزودا بمقال طويل كان قد أعده وكتبه حول الكتاب، وسمعته يلقي محاضرة طويلة، مستعلية، عدوانية وعنصرية ومليئة بالمعلومات غير الدقيقة

الأكاديميا الإسرائيلية في غالبها محافظة جدا، وهي تعي بشكل جيد إلى أي اتجاه تهب الرياح السياسية، وتُخضع نفسها لها بجودة تثير الدهشة. هذا ليس أمرا جديدا، وتوجد لذلك جذور تاريخية عميقة. وعلى الرغم من ذلك، كان بها، ويوجد فيها أيضا حتى الآن، جزر من الشجاعة، من المسؤولية السياسية ومن الاستقامة الفكرية. بالنسبة لغريس فإن أقواله تشهد في الأساس عليه.

حول الإسلام والعرب والفلسطينيين، ومحاولا جدا التشكيك في مهنيتك ودقتك العلمية، ما لم ينجح في تحقيقه باعتقادي، إلى أي مدى تعتقد أن هذا التوجه قائم وحاضر في الأكاديميا الإسرائيلية؟

الأكاديميا الإسرائيلية في غالبها محافظة جدا، وهي تعي بشكل جيد إلى أي اتجاه تهب الرياح السياسية، وتُخضع نفسها لها بجودة تثير الدهشة. هذا ليس أمرا جديدا، وتوجد لذلك جذور تاريخية عميقة. وعلى الرغم من ذلك، كان بها، ويوجد فيها أيضا حتى الآن، جزر من الشجاعة، من المسؤولية السياسية ومن الاستقامة الفكرية. بالنسبة لغريس فإن أقواله تشهد في الأساس عليه.

(*) من يقرأ كتابك، ومن خلال المحاضرات التي ألقيتها حوله ومن خلال المقابلات التي أجريت معك، لاحظت أنك في الغالب تختم أقوالك بشكل متفائل تجاه المستقبل. من اين تستمد مصادر الالهام لهذه الروح التفاؤلية؟

بالنسبة للتفاؤل، هو ليس مفهوما ضمنيا بالنسبة لي، وبالرغم من ذلك فهو في الأساس نتيجة لرفض الخنوع للتشاؤم، الذي يبدو لي أنه موقف أخلاقي وفكري مستنكر. التشاؤم هو حق إضافي أرفض أن آخذه لنفسي.

فيما يتعلق بالتفاؤل: شهد التاريخ لحظات من التصحيح والمصالحة، بين أعداء ألداء. نحن نعيش معا على هذه الأرض، إسرائيليين وفلسطينيين، وسوف نستمر في العيش معا. من غير الممكن العيش دون وجود أمل. ولكن هذا مرتبط بأمر آخر، الذي أكتب عنه في خاتمة الكتاب– الإيمان بأن الاعتراف بالغبن–، الاعتراف الصادق، هو الخطوة الأولى نحو المصالحة.

بالإضافة إلى التبعات العملية لتصحيح الغبن (العودة، التعويض، الحدود الخ)، يشكل الاعتراف بحد ذاته مدخلا لطلب الصفح– الصفح ليس كنهاية للطريق، وإنما كبداية لمشوار مشترك، لا يمحو الماضي ولكن لا يبقى رهينته.

(*) خلال قراءة الكتاب، هناك بعض المواقف والمقاطع التي تثير الانفعال، ما هي اللحظات التي أثارت انفعالك؟ ولماذا عملية الكتابة مهمة لك؟ وخصوصا أنك تكتب بلغة جميلة، شاعرية ودقيقة؟

أنا طبعا سعيد جدا بأن الكتاب أثار انفعالك وسعيد أيضا بأنك وجدت الكتابة جميلة. هذان الأمران أشغلاني جدا.

بشكل غريب يبدو لي أن الأمرين مرتبطان، وخصوصا كونه لدي شك عميق تجاه اللغة، التي هي بالنسبة لي موقع صراع متواصل. طبعا، الأمر متعلق أيضا بالتزام أخلاقي، وعلى مدار فترة كتابة أطروحة الدكتوراه واجهت ليس فقط نفسي وإنما رجالات الأكاديميا وزملائي من أجل جعل الأطروحة مقروءة وقابلة للفهم من قبل أشخاص ليسوا أكاديميين مهنيين. هذا باعتقادي مسؤولية أخلاقية وفكرية من الدرجة الأولى، وخصوصا بالنسبة لكتاب يتعاطى ليس فقط مع الماضي، وإنما أيضا مع الحاضر ومع ما ينتظرنا في المستقبل.

(*) ما هي طبيعة علاقتك اليوم بالمكتبة الوطنية، وهل يسمح لك بزيارة الأرشيفات والكتب التي كتبت عنها، وهل شارك أي من موظفي المكتبة وممثليها في النشاطات التي أقيمت حول الكتاب؟

فيما يتعلق بالمكتبة، بالتأكيد ليس ممنوعاً علي الدخول إليها، ولا أنسى للحظة المساعدة التي ُقدمت لي هناك. المكتبة الوطنية هي مكان عزيز على قلبي. من هذا المنطلق، فالأشياء التي وُصفت في الكتاب ليست فقط اغضبتني بل أحزنتني جدا. ومن المؤسف

أنه حتى اليوم لا يوجد في المكتبة أي علامة تشير إلى أي استعداد للاعتراف بالغبن أو للتعاطي معه.

يؤسفني طبعا أنهم رفضوا المشاركة في أي من الأيام الدراسية والفعاليات التي تناولت الكتاب. اعتقد بان هذا قرار غبي، وبالأساس مؤسف، وفي نهاية المطاف أؤمن إيمانا عميقا بأهمية اللقاء والحوار. ولولا ذلك لما كنت قد كتبت الكتاب.

إشارة إلى كتاب «لمشاهدة الجمهور: صور الفلسطينيين في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية»

من الجدير أن نشير في هذا السياق- وما دمنا نتحدث عن عمليات النهب والسلب للمواد الثقافية الفلسطينية- إلى الدكتوره رونا سيلع وأبحاثها المهمة في المجالات البصرية.

فقد أصدرت الدكتوره سيلع في العام ٢٠٠٩ كتابا تحت عنوان: «لمشاهدة الجمهور: صور الفلسطينيين في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية» إصدار دار هيلانا. والدكتوره سيلع هي أمينة معارض وباحثة في مجال التصوير المحلي وفي التاريخ البصري للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني. وكانت أمينة التصوير لمتحف تل أبيب للفنون، وأمينة وباحثة لمعارض كثيرة. ونشرت العديد من الكتب والكتالوجات والمقالات من بينها: تصوير في فلسطين/ أرض إسرائيل في سنوات الأربعينيات والخمسينيات (إصدار در النشر هكيبوتس همئوحاد ومتحف هرتسليا للفنون٢٠٠٠)، «القرى الفلسطينية الحاضرة الغائبة» (تيرمينال، ٢٠٠٦).History of Photography 2009 ، «ستة أيام وأربعون عاما أخرى (متحف بيتح تكفا للفنون، ٢٠٠٧) و «التاريخ المصور لفلسطين» (مجلة تيئوريا فبيكورت- نظرية ونقد، ٢٠٠٧).

يتعاطى الكتاب مع موضوعين مركزيين يتعلقان ويرتبطان الواحد بالآخر: الأول، طرق التجميع والاحتفاظ بالمعرفة التصويرية حول الفلسطينيين من قبل الأجهزة العسكرية في إسرائيل على مدار القرن العشرين. والثاني، علم التأريخ البصري الفلسطيني الناقص. أغلبية المعلومات حول الفلسطينيين في الأرشيفات الإسرائيلية مرتبطة بفعاليات متعددة، منها جمع استخباراتي من أجل اهداف عسكرية وعملياتية، والتي بأغلبها تستند على تفعيل مزدوج لعلاقات القوة: بدءاً بطرق جمع المعلومات في الوحدات، وفي الأقسام وفي الأرشيفات العسكرية (سلب، نسخ سري لمواد من أرشيفات أخرى، تجميع معلومات استخباراتية ووسائل متنوعة أخرى ..الخ)، وحتى مسلكيات الأرشيفات التي تحدد وتقيد إمكانيات الكشف عن مواد معينة للجمهور (الرقابة العسكرية وتقييد النظر).

يكشف الكتاب عن صور في الغالب، لم تعرض حتى موعد إصدار الكتاب. كما أنه يعيد الصور للحيز العام ويطالب بتوسيع حدود التاريخ البصري المحلي. خلال البحث، ونتيجة لمحدودية الأرشيفات، أُنقذت صور لفلسطينيين وحول الفلسطينيين حتى أواسط سنوات الخمسين من القرن الماضي فقط. يشتمل الكتاب على جزأين: الجزء الأول: يلخص نتائج البحث والجزء الثاني: يعرض الصور.

تلخيص

قدمنا من خلال هذه المقالة الكاتب غيش عميت مؤلف كتاب «بطاقة ملكية: تاريخ من النهب والصون والاستيلاء في المكتبة الوطنية الإسرائيلية»، وذلك من خلال عرض الأفكار المركزية في الكتاب والالتقاء به وطرح بعض الأسئلة عليه تتعلق بشخصيته ومجالات اهتمامه ورؤيته السياسية والمجالات التي يكتب عنها وموضوعات الكتاب. كما ألحقنا المقابلة بإشارة وباستعراض موجز لكتاب ذي صلة بالأرشيف، يبحث موضوع صور الفلسطينيين في الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية أصدرته الباحثة رونا سيلع.

إن الصوت الذي يسمعه غيش عميت والذي يمزج بين الحقائق العلمية والتاريخية الدقيقة من جهة والمقولات السياسية التي تنحاز إلى العودة إلى اللحظات المؤسسة للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني والمعترفة بالغبن والداعية إلى الاعتراف الحقيقي والفعلي وضرورة التصحيح من قبل السلطة والمجتمع في إسرائيل من جهة أخرى، هو صوت شجاع، حيوي وفاعل، ولكن ما زال يمثل أقلية قليلة في إسرائيل. ومع ذلك فإنه يساهم مساهمة جادة في تحدي الخطاب السياسي والأكاديمي المهيمن بقوة وثقة. آمل بان ينضم عدد أكبر من الباحثين العرب واليهود والأجانب إلى مسيرة البحث والتنقيب في الأرشيف، لأن الأرشيف ليس مكانا تُحفظ بداخله بقايا من أحداث حصلت في الماضي فقط ،ولكن له أهمية وتأثيرا على ما يحدث في الحاضر وعلى ما يمكن أن يحدث في المستقبل.

الهوامش:

١ أنظر على سبيل المثال المقابلة التي أجراها الصحافي عوفر أديرت مع غيش عميت في تاريخ ٢٠١٥/١/٢ في ملحق «جلريا» صحيفة هآرتس. http://www.haaretz.co.il/gallery/literature/.premium-2525433.1وانظر النقد الذي يوجهه المؤرخ توم سيغيف للكتاب والمؤلف، هآرتس ٢٠١٥/١/٢٩ http://www.haaretz.co.il/literature/ study/.premium-1.2549929

٢ ممكن مشاهدة مداخلات ومحاضرات اليوم الدراسي الذي عقد في معهد فان لير في القدس في تاريخ ٢٠١٥/٢/١٢ وناقش الكتاب عبر الرابط المرفق: https://www.youtube.com/watch?v=lssfdKVvnSY&list=PLHgwT2MoGd82KlxTKn9R9Sc_qwRt8vlFh

وممكن أيضا مشاهدة اليوم الدراسي الذي نظمته جمعية زوخروت– ذاكرات بتاريخ ٢٠١٥/٧/٢٩ تحت عنوان: محو، نسيان، تنلس: ثلاثة نقاشات حول أرشفة التاريخ الفلسطيني، والذي يناقش كتابي غيش عميت ورونا سيلع اللذين نحن بصددهما في هذه المقالة وكتاب يعمل على إصداره الدكتور عادل منا ع: https://www.youtube.com/watch?v=6v_fVzLaMxY

صدر عن مدار